الهدايات القرآنية:- ضبط للمفهوم وتأصيل للمصطلح-

-

أ/د. عبد القادر سلاّمي

فسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة تلمسان–الجزائر

skaderaminaanes@gmail.com

***ملخص:**

تسعى المداخلة التالية إلى الوقوف على المسألة المصطلحية في القرآن الكريم من زاوية تحديد المفاهيم والمصطلحات التي تفرض بدورها إعادة اكتشاف جوانب الإعجاز فيه من منظور يصلُ مصطلح الهدايات بالمعجم تعريفاً و بالقرآن دلالةً وأنواعاً ومجالاتٍ وأهميةً وآثاراً.

–مفهوم الهداية بين اللغة والاصطلاح :

الهُدَى بضمّ الهاء وفتْح الدّال: الرَّشَادُ والدّلالة ، ويُذكَّرُ والنّهار، هداهُ هُدًى وهَدْياً وهِدَايَةً وهِدْيَةً بكسرهما: أَرْشَدَهُ فَهَدَى واهْتَدَى . وهَدَاهُ اللهُ الطَّريقَ ولهُ وإليه، ورَجُلٌ هَدُوٌّ : هادٍ . والهَدْيُ والهَدْيَةُ: الطّريقةُ والسِّيرَةُ ، والهَادي: المتقَدّمُ والهَوَادي الجَمْعُ، ومن اللَّيْل: أوائلُهُ ومن الإبِل: أَوَّلُ رَعيلٍ يَطْلُعُ منها ، والهَدِيَّةُ: ما أُتْحِفَ به جمع هَدايَا وهَدَاوَى وهَدَاوٍ . والهِدَاءُ : أنْ تَجِيئ هذه بطعامٍ وهذه بطَعامٍ فَتَأْكُلاَ معاً في مَكانٍ ،وما أُهدِيَ إلى مكَّةَ كالهَدْيِ فيهما ، والتَّهْدِيَةُ: التَّفْريقُ. واهْتَدَى الفَرَسُ الخَيْلَ : صَارَ في أَوَائِلِها ، وتَهَدَتِ المرْأَةُ : تَمَايَلَتْ في مِشْيَتِها وكلُّ مَنْ فَعَلَ ذلك بآَحدٍ فهو يُهَاديهِ . [1]. والهادي من أسماء الله تعالى : الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقرّوا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى مالا بد منه في بقائه ودوامه وجوده." [2]والهدي الصّالح :" السّيرة والهيئة والطريقة. والهَديُ :"ما ينقل للذبح من النَّعَم للحَرم".[٢] ما يهدى إلى البيت الحرام من النّعم لتُنحر، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا تسمية للشّيء ببعضه." [3]

---

(1) ينظر: التعريفات لعلي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ،ص٣٩٥،مادة (هدي) و المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ١٤٢٥هـ:٩٧٨ ،(هدى)، و الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، راجعه، أنس مُحَمَّد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، هـ١٤٣٠، ٢٠٠٩م: ١١٩٤ ،مادة (هدى).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ،تقديم، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٦١هـ:١٠٠٣، مادة(هدا).

وفلان يهدي للناس إذا كان كثير الهدايا...وأهدى إلى الحرم هديا وهديا وهدى العروس إلى زوجها هداء أهداه إليه...بمعنى دللتها وجعلتها هدية. "[1] والمِهْدَى: الطَّبَقُ الذي يُهْدَى عليه. والمِهْدَاءُ :مَنْ يُكْثِرُ إِهْدَاءَ الهَدِيَّةِ، والهَدْيَةُ والهِدْيَةُ: الطَّرِيقَةُ والسِّيرَةُ، يقال: "ما أحسنَ هَدْيَتَهُ" أي ما أحسَنَ طريقتَهُ، أو سيرتَهُ بين الناس؛ و: فلان يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ: إذا مَشَى بينَهما مُعْتَمِداً عليهم.[2]

وتقول العربُ: هو لا يَهتَدي لهذَا، أيْ لا يَعْرِفُهُ ، وتقولُ: هَدَيْتُ العَرُوسَ إلى بَعْلِها ، وتقولُ أيضاً:أَهْدَيْتُها إليه، و: هُدِيَتْ لهُ، وتقولُ: أَهْدَيْتُ لَهُ هَدِيَّةً.وبنُو تَميم يقولون:هَدَيْتُ العَرُوسَ إلى زَوْجِها، جَعلُوه في معنى" دَلضلْتُها"، وقَيْس تقول:" أهْدَيْتُها"، جَعلُوه بمنزلَة الهَدِيّة". [3]

وعلى هذا، فالهِدَايَةُ دلالَةٌ بلُطفٍ بالمؤمن أو تَهكُّمٍ بالكّافر، و منه الهَدِيَّةُ ، وخُصَّ ما كانَ دلالةً بهديْتُ ، وما كانَ إعْطاءً بأهْدَيْتُ.

-أنواع الهدايات وأهمّيتها:

هدايةُ الله تعالى للإنسان على أربعة أوْجُهٍ:[4]

- الأوّل: الهدايَةُ التي عَمَّ بجِنْسها كلَّ مكلَّفٍ من العقل والفِطنة والمعارف التي أعمَّ منها كلّ شيءٍ بقَدرٍ فيه حسْبَ احتمالِه. قال تعالى: **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾.[5]

جاء في تفسير القرطبي(ت٦٧١هـ):"ثم هدى قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى مَنْكَحِه ومَطْعَمِه ومَشْرَبِه ومَسْكنِه ، وعن ابن عباس ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة . وقال الحسن وقتادة : أعطى كلّ شيء صلاحَه ، وهداه لما يُصلحه . وقال مجاهد : أعطى كل شيء صورةً ؛ ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خَلْق البهائم في خَلْقَ الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا".[6]

---

(2) القاموس المحيط، لمجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت ،٤/ ٤٠٥-٤٠٦، مادة (الهُدى).

(3) - المرجع نفسه،ص١٠٠٤،مادة (هدي).

(1) -ينظر: أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، حققه، مزيد نعيم وسوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط، ١، ١٩٩٨م:٣٦٨/٢(هدي).

(2) - ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، لسمير عاطف الزّين،دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان،ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ص٨٩٢،مادة (هدى).

(3) - معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق فايز فارس،ط٢،دار البشير ودارالأمل،١٤٠٠هـ-١٤٠١هـ / ١٩٧٩م-١٩٨١م، ٢٩٨/٢.

(4)- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،،ص ٨٨٧-٨٨٨،مادة (هدى).

(5)- طه: ٤٩ -٥٠.

(6) - الجامع لأحكام البيان،والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان،٧١/١٤.

قال ابن قتيبة (ت ٣٧٦هـ):" أي أعطى كلّ ذكر خَلْقاً مثله من الإنَاث" ثمّ " هدى الذّكَر لإيتيان الأُنثى".[1]

-الثاني: التي جعلَ للنَّاسِ بدُعائِه إيَّاهُم على أَلْسِنَةِ الأَنْبِيَاءِ ، وإنْزَالِ القرآن الكريم ونَحوِ ذلك، وهو المقصودبقوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾.[2]

جاء في تفسير الطّبري : وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾، يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويُتَّبَعون عليه.كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله:﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾، يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** ﴾ ،يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك)وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا. [3]

-الثّالث: التَّوْفيقُ الذي يَخْتَصُّ بهِ من اهْتَدى ، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾.[4]

قال الزمخشري في تفسير الكشاف : (زادَهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهُم تقْوَاهم) أعانهم عليها أو أتاهم جزاءَتقْواهم . وعن السدّي:بيَّن لهم ما يتّقون. وقرُئ : وأعطاهم ،وقيل:الضّمير هم زادهُم لقول الرسول أو الاستهزَاء المنافقين أن تأتيهم بدَلُ اشتمال من السّاعة نحو : أن تطؤهُم من قوله: رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات".[5]

---

(1)- تفسير غريب القرآن،لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر ،عن دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ،ص ٢٧٩.

(2) - الأنبياء: ٧٣.

(3)-ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، **لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري**، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني،مؤسسة الرسالة، ط١،بيروت،١٤١٥هـ -١٩٩٤م، ٥/ ٢٦٧-٢٦٨.

(4)- مُحَمَّد : ١٧.

(5) - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاوين في في وجوه التأويل، **لجار الله الزمخشري**،تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطلاعة والنشروالتوزيع، بيروت،ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م،ص١٠٢٠.

وجاء في معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ): ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾.وقوله : ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** ﴾زادهم استهزاؤهم هدى، وآتاهم الله تقواهم، يقال :أثابهم ثواب تقواهم، ويقال : ألهمهم تقواهم، ويقال :آتاهم تقواهم من المنسوخ إذا نزل الناسخ.[1]

وقال القرطبي في تفسيره : والذين اهتدوا أي للإيمان زادهم الله هدى . وقيل : زادهم النبي – صلى الله عليه وسلم – هدى . وقيل : ما يستمعونه من القرآن هدى ، أي : يتضاعف يقينُهم .وقيل : زادهم نزول الناسخ هُدًى . وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل : أحدها : زادهم علما ، قاله الربيع بن أنس . الثاني : أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا ، قاله الضحّاك . الثالث : زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم ، قاله الكلبي .الرابع : شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان . وآتاهم تقواهم أي ألهمهم إياها . وقيل : فيه خمسة أوجه : أحدها : آتاهم الخشية ، قاله الربيع . الثاني : ثواب تقواهم في الآخرة ، قاله السدي . الثالث : وفقهم للعمل الذي فرض عليهم ، قاله مقاتل . الرابع : بين لهم ما يتقون ، قاله ابن زياد والسدي أيضا . الخامس : أنه تركُ المنسوخ والعملُ بالناسخ ، قاله عطية . الماوردي : ويحتمل . سادسا : أنه ترك الرُّخَص والأخذ بالعزائم.وقرئ: (وأعطاهم) بدل﴿ وآتاهم ﴾ وقال عكرمة : هذه نزلت فيمن آمنَ من أهل الكتاب .[2]

وقوله: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.[3]

وقال الفرّاء:قوله جل وعز :﴿**مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾،يريد :إلا بأمر الله، "وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" عند المصيبة فيقول :إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقال :يهد قلبه إذا ابتُلى صبر، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا ظُلِمَ غفر، فذلك قوله يهد قلبه"[4]

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى:﴿**ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾أي: بإرادتِه وقضائِه.. وقيل: إلاّ بعلْم الله.وقيل سببُ نُزُولها انّ الكُفَّارَ قالوا:لو كانَ ما عليه المسلمونَ حقّاً لَصَانَهم الله من المصائب في الدّنيا، فبيَّن اللهُ تعالى أنَّ ما أصابَ من مُصيبَةٍ في نَفْسٍ أو مالٍ أو قوْلٍ أو فعْلٍ ، يقتضي هَمّاً أو يُوجبُ عِقاباً عاجلاً أو آجِلاً، فبعلْم الله وقضائِه. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ أي : يُصدِّقْ ويعلمُ أنَّه لا يُصيبُه مُصيبة إلاَّ بإذن الله. ﴿**يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ للصّبر والرّضا. وقيل: يثَبّته على الإيمان.وقال أبو عثمان الحيري: مَنْ صحَّ إيمانُه، يَهْدِ اللهُ قلبَهُ لاتّبَاعِ السنَّة. وقيل : (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)عند المصيبة، فيقولُ:﴿ **إنّا لله وإنّا إليه رَاجعُون)** ﴾. [5] قاله

---

(1) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء،تحقيق مُحَمَّد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب،بيروت، ١٩٨٠م،٣/٦١.

(2)- الجامع لأحكام البيان،والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ١٩/٢٦٣-٢٦٤.

(3)-التغابن:١١

(4) -معاني القرآن للفراء ٣،/١٦١.

(5) – البقرة : ١٥٦.

ابن جُبير. وقال ابنُ عبّاس: هو أنْ يجعلَ اللهُ في قلبه اليقينَ ليَعْلَمَ أنّ ما أصَابَهُ ما كانَ لِيُخطِئَهُ ، وأنَّ ما أخْطَأَهُ ما كانَ لِيُصيبَهُ . وقال الكَلْبِيُّ:هوَ إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وإذا أُنْعِمَ عليهِ شَكَرَ، وإذا ظُلْمَ غَفَرَ،وقيلَ: يَهْدِ قلبَهُ إلى نَيلِ الثّوَابِ في الجَنَّة".[1]

وجاء في تفسرها عن ابن كثير(ت ٧٧٤هـ):يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿**ما أصابَ منْ مصيبة في الأرض ولا في أنفسِكم إلاّ في كتابٍ من قبلِ أن نبْرأها** ﴾ [2] وهكذا قال ها هنا: ﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**﴾قال ابن عباس: بأمر الله، يعني : عن قدَره ومَشيئته . ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم، أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتسب ، واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ، ويقينا صادقا ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه ، أو خيرا منه ....[3] وفي الحديث المتفق عليه: (**عجباً للمؤمن ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن**).[4]

-الرّابعُ: الهِدَايَةُ في الآخِرَةِ إلى الجَنَّة، المعنِيُّ بقوله تعالى: ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾ [5]

جاء في تفسر ابن كثير: "﴿سَيَهْدِيهِمْ ﴾، أَيْ إِلَى الْجَنَّة كَقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات يَهْدِيهِمْ رَبّهمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتهمْ الْأَنْهَار فِي جَنَّات النَّعِيم** ﴾ [6]وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ " وَيُصْلِح بَالهمْ " أَيْ أَمْرهمْ وَحَالهمْ ،﴿ **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾[7]، أي عرّفهم بها وهدَاهُم إليها" . [8]

---

(1) – الجامع لأحكام البيان،والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،بمشاركة مُحَمَّد رضوان عرقسوسي،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، 21/ ١٥.

(2)- الحديد : ٢٢.

(3) –تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، تحقيق سامي بن مُحَمَّد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،١٤٢٠ ط٣،هـ - ١٩٩٩ م،٨/ ١٣٧-١٣٨.

(4)–صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج الفشيري النيسابوري،تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٤م، كتاب الزهد والرقائق (باب المؤمن أمره كله خير) من حديث صهيب الرّومي رقم ٢٩٩٩ –ﷺ، ص ١٤٦٤-١٤٦٥.وقد روي فيه الحديث بغير لفظ ، واللفظ بتمامه:(عجَباً لأمْر المؤمن،إنّ أمرَهُ كلُّهُ خيرٌ وليسَ ذاكَ لأَحدٍ إلاَّ المؤمن، إنْ أصَابتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكانَ خيراً لهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فكانَ خيراً له).

(5)- مُحَمَّد: ٥.

(6)- يونس : ٩.

(7)-مُحَمَّد : ٦.

(8)–ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)،٧/٣٠٩-٣١٠.

وقوله: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[1]

جاء في تفسير الطبري: الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورهمْ مِنْ غِلّ تَجْرِي مِنْ تَحْتهمْ الْأَنْهَار ﴾، يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَأَذْهَبْنَا مِنْ صُدُور هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتهمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَصْحَاب الْجَنَّة ، مَا فِيهَا مِنْ حِقْد وَغِلّ وَعَدَاوَة كَانَ مِنْ بَعْضهمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى بَعْض ، فَجَعَلَهُمْ فِي الْجَنَّة إِذْ أَدْخَلهُمُوهَا عَلَى سُرَر مُتَقَابِلِينَ ، لَا يَحْسُد بَعْضهمْ بَعْضًا عَلَى شَيْء خَصَّ اللَّه بِهِ بَعْضهمْ وَفَضَّلَهُ مِنْ كَرَامَته عَلَيْهِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتهمْ أَنْهَار الْجَنَّة. والْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى :قَالُوا الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّه ﴾[2] يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات حِين أُدْخِلُوا الْجَنَّة ، وَرَأَوْا مَا أَكْرَمَهُمْ اللَّه بِهِ مِنْ كَرَامَته ، وَمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ الْعَذَاب الْمُهِين الَّذِي أُبْتُلِيَ بِهِ أَهْل النَّار بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَتَكْذِيبهمْ رُسُله : ﴿**الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا** ﴾، يَقُول : الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا لِلْعَمَلِ الَّذِي أَكْسَبَنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ كَرَامَة اللَّه وَفَضْله وَصَرَفَ عَذَابه عَنَّا . ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّه** ﴾ يَقُول : وَمَا كُنَّا لِنُرْشَد لِذَلِكَ لَوْلَا أَنْ أَرْشَدَنَا اللَّه لَهُ وَوَفَّقَنَا بِمَنِّهِ وَطَوْله. والقول في تأويل قوله تعالى:﴿ **لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾: قولُ تعالى ذِكْرُه عن هولاء الذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحات أنّهم يقولون عند دخُولهم الجنَّة ، ورؤيتُهم كرَامةَ الله التي أكْرَمَهم بها، وهو أنّ أعداءَ الله في النّار:والله لقد جاءَتْنا في الدنيا، و هؤلاء الذين في النّار رُسُل ربّنا بالحقّ من الأخبار عن وَعْد الله أهلَ طاعته والإيمان به وبرُسُله، و وَعيدِه أهلَ معاصيهِ والكُفِر به. وأمّا قولُه: ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾، فإنَّ معناه: ونَادَى مُنادٍ ، هؤلاء الذينَ وَصفَ اللهُ صِفَتَهم، وأخْبَرَ عمَّا أعدَّ لهم منْ كرمتِه:أنّ هؤلاء، هذه تْلْكُم الجنَّة التي كانت رُسُلي في الدُّنيا تُخبرُكم عنها أوْرَثَكُمُوها اللهُ عن الذّين كَذَّبُوا رُسُلَهُ، لتَصْديقكُم إيَّاهُم وطاعَتُكم ربَّكُم. وذلك معنى قوله: ﴿ **مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾. [3]

و هذه الهِدَايَاتُ، على نحو ما ذكرنا، مُتَرَتّبَةٌ ، فإنْ لمْ تحصلْ الثانيَةُ لا تحصُلُ لهُ الثَّالِثَةُ ، بَلْ لا يَصِحُّ تَكليفُهُ ، ومنْ لمْ تحصُلْ لهُ الثّانيَةُ لا تَحْصُلُ لهُ الثَّالثَةُ والرَّابعَةُ ، ومنْ حصلَ لهُ الرّابِعُ فقد حَصلَ لهُ الثَّلاَثُ التي قبلَها ، ومنْ حَصَل لهُ الثّالِثُ فقد حَصلَ لهُ اللَّذَانِ قبْلَهُ، ثُمّ ينعَكِسُ ، فقد تَحْصُلُ الأُولى و لا يَحصُلُ لهُ الثّاني ولا يَحصُلُ الثّالثُ . [4]

---

(1)- الأعراف: ٤٣.

(2) -الأعراف: ٤٣.

(3) - ينظر:تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،٣/ ٤٣٨-٤٤٠.

(4)- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث ، ص٨٨٨،مادة (هدى).

–آثار الهدايات ومجالاتها:

هذا ،والإنسانُ لا يقدرُ أنْ يَهْدِي أَحَداً إلاَّ بالدُّعاءِ وتعريف الطّرُق دون سائرِ الهِدَايَاتِ .[1] وإلى الأوَّل أشارَ بقولهِ : ﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [2]، ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ [3]أي داعٍ. وإلى سائِر الهِدايات أشار بقولهِ تعالى: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾.[4] وكُلُّ هِدايَة ذَكَر اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه منعَ الظالِمِينَ والكافِرِينَ منها، فهي الهِدايَةُ الثالِثَةُ، وهي التَّوْفِيقُ الذي يَخْتَصُّ به المهْتَدُونَ، والرابعةُ التي هي الثَّوابُ في الآخرةِ وإدْخالُ الجَنَّةِ، نحوُ قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا**﴾[5] إلى قولهِ :﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ ،[6] وكقولهِ: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾. [7] وكُلُّ هِدايَة نَفاها الله عن النبِيّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)وعن البَشَر، وذَكَرَ أنهم غيرُ قادِرِينَ عليها، فهي ما عدا المخْتَصَّ من الدُّعاءِ وتَعْرِيفِ الطريق، وذلك كإعْطاءِ العَقْلِ والتَّوْفِيقِ وإدْخالِ الجَنَّةِ، كقولهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [8]، ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[9] ، ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى**﴾ [10] ، ﴿**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ**﴾[11] ، ﴿**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ**﴾ [12]، ﴿**وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[13] ،﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ**﴾[14] ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾. [15]

---

(1)- ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،ص٨٨٨، مادة (هدى).

(2)-الأنبيَاء: ٧٣.

(3)- الرّعد: ٧.

(4)- القَصَص: ٥٦.

(5)- آل عِمرَان: ٨٦.

(6)- البَقَرَة: ٢٥٨.

(7)– النّحل:107 .

(8)- البَقَرَة: ٢٧٢.

(9)- البَقَرَة: ٢٧٢.

(10)- الأنعَام: ٣٥

(11)- الرُّوم: ٥٣

(12)- النّحل: ٣٧.

(13)– الرّعد ٣٣.

(14)- الزُّمَر: ٣٧.

(15)- القَصَص: ٥٦.

وإلى هذا المعنَى أشارَ بقولهِ تعالى: ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾.[1] قولهُ: ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾ [2] أي طالِبُ الهُدَى ومُتَحَرِّيهِ هو الذي يُوَفِّقُهُ ويَهْدِيهِ إلى طريق الجَنَّةِ، لا مَنْ ضادَّهُ فَيَتَحرَّى طريقَ الضَّلالِ والكُفْرِ، كقولهِ: ﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[3] وفي أُخْرَى: (الظالِمِينَ). وفي قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾[4] الكاذِبُ الكَفَّارُ هو الذي لا يَقْبَلُ هِدايَتَهُ، فإن ذلك راجِعٌ إلى هذا، وإن لم يكنْ لَفْظُهُ مَوْضُوعاً لذلك، ومن لم يَقْبَلْ هِدايَتَهُ لم يَهْدِهِ، كقولِكَ: من لم يَقْبَلْ هَدِيَّتِي لم أُهْدِ لَهُ، ومَنْ لم يَقْبَلْ عَطِيَّتِي لم أعْطِهِ، ومَنْ رَغِبَ عَنِّي لم أرْغَبْ فيه.[5]

وعلى هذا النحوِ: ﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[6] وفي أخْرَى: (الفاسِقِينَ). وقولهُ :﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهْدِي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى**﴾ [7] يَعْني أَنَّ الأَصْنَامُ لا تَهْتَدِي ولا تَهْدِي أَحَداً وإنْ هُدِيَتْ لم تَهْتَدِ لأنها مَواتٌ من حِجارَة ونحوها. وأما الذين يعبدون بشراً أو ملائكة أو سواهم فهم عبادٌ أمثالهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾،[8] وقال في موضعٍ آخَرَ:﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ** ﴾[9] وقولهُ عزَّ وجلَّ:﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ**﴾[8]،﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[11]، ﴿**وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[12] فذلك إشارةٌ إلى ما عَرَّفَ من طريقِ الخَيْرِ والشَّرِّ، وطريقِ الثَّوابِ والعِقابِ بالعَقْلِ والشرعِ. وكذا قولهُ: ﴿**فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ**﴾ [13] ، ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾.[14] أمّا قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ**

---

(1)- يُونس: ٩٩.

(2)- الإسرَاء: ٩٧.

(3)- البَقَرَة: ٢٦٤.

(4)-الزُّمَر:٣ .

(5)- ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،ص٨٨٩، مادة (هدى).

(6)- البَقَرَة: ٢٥٨.

(7)- يُونس: ٣٥.

(8)- الأعرَاف: ١٩٤.

(9)- النّحل: ٧٣.

(8)- الإنسَان: ٣.

(11)- البَلَد: ١٠.

(12)- الصَّافات: ١١٨.

(13)- الأعرَاف: ٣٠.

(14)- القَصَص: ٥٦.

بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[1] فهو إشارةٌ إلى التَّوْفِيقِ المُلْقَى في الرَّوْعِ فيما يَتَحَرَّاهُ الإنسانُ، وإياهُ عَنَى بقولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾.[2]

وعُدِّيَ الهِدايَةُ في مَواضِعَ بِنَفْسِهِ، وفي مَواضِعَ باللامِ، وفي مواضِع بإلى.[3] فمن الأخير ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[4] ، ﴿**وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [5] ، ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**﴾[6] ، ﴿**هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ**﴾.[7] وما عُدِّيَ بِنَفْسِهِ نحوُ: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[8] ، ﴿**وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [9] ، ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [10]، ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾[11] ، ﴿**وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا** ﴾[12] ، ﴿**أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾[13] ، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾.[14]

ولَمَّا كانَت الهِدَايَةُ والتَّعْلِيمُ يَقْتَضِيان شَيْئَيْنِ: تَعْرِيفاً مِنَ المعَرِّفِ، وتَعَرُّفاً مِنَ المعَرَّفِ، وبهما تَمَّ الهِدايَةُ والتَّعْلِيمُ، فإنه مَتَى حَصَلَ البَذْلُ مِنَ الهَادِي والمعَلِّمِ، ولم يَحْصُل القَبُولُ صَحَّ أن يقالَ: لم يَهْدِ، ولم يُعَلِّمْ، اعتباراً بِعَدَمِ القَبُولِ .وصَحَّ أن يقالَ: هَدَى وعَلَّمَ، اعتباراً بِبَذْلِهِ، فإذا كان كذلك صَحَّ أن يقالَ: إنَّ اللَّهَ تعالى لم يَهْدِ الكافِرِينَ والفاسِقِينَ، من حيثُ إنه لم يَحْصُلِ القَبُولُ الذي هو تمامُ الهِدايَةِ والتَّعْلِيمِ .وصحَّ أن يقالَ: هَداهُمْ وعَلَّمَهُمْ من حيثُ إنه حَصَلَ البَذْلُ الذي هو مَبْدَأُ الهِدَايَةِ.[15]

---

(1)- التّغَابُن: ١١.

(2)- محَمَّد: ١٧.

(3)- ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،ص٨٩٠،مادة (هدى).

(4)- آل عِمرَان: ١٠١.

(5)- الأنعَام: ٨٧.

(6)- يُونس: ٣٥.

(7)- النَّازعَات: ١٨-١٩.

(8)- النِّسَاء: ٦٨.

(9)- الصَّافات: ١١٨.

(10)- الفَاتِحَة: ٦.

(11)- النِّسَاء: ٨٨.

(12)- النِّسَاء: ١٦٨.

(13)- يُونس: ٤٣.

(14)- النِّسَاء: ١٧٥.

(15)- ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،٨٩٠،مادة (هدى).

فَعَلَى الاعتبارِ بالأوَّل يصحُّ أن يُحْمَلَ قولهُ تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [1]، و(الكافِرِينَ). وعلى الثاني قولهُ عزَّ وجلَّ :﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ [2] ، والأُولَى حيثُ لم يَحْصُلِ القَبُولُ المفِيدُ، فيقالُ: هَداهُ اللَّهُ فَلَمْ يَهْتَدِ، كقولهِ ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ**﴾. [3] وقولهُ: ﴿**لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[4] إلى قولهِ: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾ [5] فَهُمُ الذينَ قَبِلُوا هُدَاهُ واهْتَدَوْا به. وقولهُ تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[6] ، ﴿**وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** ﴾[7] فقد قيلَ: عُنِيَ به الهِدايَةُ العامَّةُ التي هي العَقْلُ وسُنَّةُ الأنبياءِ، وأُمِرْنا أن نقولَ ذلك بألْسِنَتِنَا، وإن كانَ قد فَعَلَ لِيُعْطِيَنَا بذلك ثَواباً، كما أُمِرْنا أن نقولَ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، وإن كانَ قَدْ صَلَّى عليه بقولهِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾[8] ، وقيلَ: إن ذلك دُعاءٌ بِحِفْظِنا عن اسْتِغْواءِ الغُواةِ، واسْتِهْوَاءِ الشَّهَواتِ. وقيلَ: هو سُؤالٌ للتَّوْفِيقِ المَوْعُودِ به في قولهِ: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾[9] ، وقيلَ: سُؤالٌ لِلهِدايَةِ إلى الجَنَّةِ في الآخرةِ. وقولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾ [10] فإنه يَعْنِي به منْ هَداهُ بالتَّوفِيقِ المذكورِ في قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.[11] والهُدَى والهِدَايَةُ في موضوعِ اللُّغَةِ واحدٌ، لكنْ قد خَصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لَفْظَةَ الهُدَى بما تَوَلَّاهُ وأعْطَاهُ واخْتَصَّ هو به دُونَ ما هو إلى الإنسانِ، نحوُ: ﴿**هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[12] ، ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ**﴾[13] ،﴿**وَهُدىً لِلنَّاسِ**﴾[14]،﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ**﴾ [15]

---

(1)- البَقَرَة: ٢٥٨.

(2)- فُصّلَت: ١٧.

(3)- فُصّلَت: ١٧.

(4)- البَقَرَة: ١٤٢.

(5)- البَقَرَة: ١٤٣.

(6)- الفَاتِحَة: ٦.

(7)- النِّسَاء: ٦٨.

(8)- الأحزَاب: ٥٦.

(9)- محَمَّد: ١٧.

(10)- البَقَرَة: ١٤٣.

(11)- محَمَّد: ١٧.

(12)- البَقَرَة: ٢.

(13)- البَقَرَة: ٥.

(14)- الأنعَام: ٩١.

(15)- البَقَرَة: ٣٨.

، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾[1] ،﴿وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[3] ، ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾[4] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اُشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾.[5] والاهْتِداءُ: يَخْتَصُّ بما يَتَحَرَّاهُ الإنسانُ على طريقِ الاخْتِيارِ، إمّا في الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، أو الأُخْرَوِيَّةِ. قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾[6] وقال: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾[7] ، ويقالُ ذلك لِطَلَبِ الهِدايَةِ نحوُ: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[8] ، وقال: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[9] ، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [10]، ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.[6]

ويقالُ: المهْتَدِي لِمَنْ يَقْتَدِي بِعالِمٍ، نحوُ: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[11] تنبيهاً أنهمْ لا يَعْلَمُونَ بأنْفُسِهِمْ ولا يَقْتَدُونَ بِعَالِمٍ،[12] وقولهُ: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[13] فإن الاهْتِدَاءَ هَهُنا على كل وجوهه مِن طَلَبِ الهِدَايَةِ ومن الاقْتِداءِ ومن تَحَرِّيها،وكذا قولهُ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [14] وقولهُ:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [15] فمعناهُ: ثم أدامَ طَلَبَ الهِدايَةِ ولم يَفْتُرْ عن تَحَرِّيه، ولم يَرْجِعْ إلى المَعْصِيَةِ. وقولهُ: ﴿الَّذِينَ

---

(1)- البَقَرَة: ١٢٠.

(2)- آل عِمرَان: ١٣٨.

(3)- الأنعَام: ٣٥.

(4)- النّحل: ٣٧.

(5)- البَقَرَة: ١٦.

(6)- الأنعَام: ٩٧.

(7)- النِّسَاء: ٩٨.

(8)- البَقَرَة: ٥٣.

(9)- البَقَرَة: ١٥٠.

(10)- آل عِمرَان: ٢٠.

(6)- البَقَرَة: ١٣٧.

(11)- المائدة: ١٠٤.

(12) - ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،٨٩٢-٨٩٣مادة (هدى).

(13)- الإسرَاء: ١٥.

(14)- النَّمل: ٢٤.

(15)- طه: ٨٢.

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [2] أي الذين تَحَرَّوْا هِدايَتَهُ وقَبِلُوها وعَمِلُوا بها. وقال مُخْبِراً عنهم: ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾[3] والهَدْيُ مُخْتَصٌّ بما يُهْدَى إلى البَيْتِ الحَرامِ. قالَ الأَخْفَشُ: والواحِدَةُ: هَدِيَّةٌ. قال: ويقالُ لِلأُنْثَى هَدْيٌ، كَأَنَّهُ مَصْدَرٌ وُصِفَ به. ﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾[4] ، ﴿**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**﴾ [8]، ﴿**وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ**﴾ [6] ﴿**وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا**﴾.[7] والهَدِيَّةُ مُخْتَصَّةٌ باللُّطَفِ الذي يُهْدِي بعضُنا إلى بعضٍ ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ**﴾، [9] ﴿**بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** ﴾. [10]

الخاتمة:

إنّ التوفيق والهداية بيد الله عز وجل ، من شاء الله أن يهديه هداه ، ومن شاء أن يضله أضله ، قال الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[11] ، وقال جل وعلا : ﴿ **مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[12]، وقال سبحانه : ﴿ **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾. [13]والمسلم يدعو في صلاته : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[14] لعلمه أنّ الهداية بيد الله تعالى ، ومع ذلك ؛ فالعبد مطالب بالأخذ بأسباب الهداية ، مُطالَب بالصبر والثبات والبدء بطريق الاستقامة ، فقد وهبه الله عز وجل عقلا منيرا ، وإرادة حرة ، يختار بها الخير من الشر ، والهدى من الضلال ، فإذا بذل الأسباب الحقيقية ، وحرص على أن يرزقه الله الهداية التامة جاءه التوفيق

---

(1)- البَقَرَة: ١٥٧.

(2)- المائدة: ٩٥.

(3)- الزّخرُف: ٤٩.

(4) - البَقَرَة: ١٩٦.

(8) - المائدة : ٩٥..

(6) –المائدة: ٩٧.

(7) - الفَتْح: ٢٥.

(9) - النَّمل: ٣٥.

(10) - النَّمل: ٣٦.

(11) –الزمر:٧٣.

(12) –الْأَنْعَامِ:٥٩.

(13) –الْأَعْرَافِ:١٧٨.

(14) –الفاتحة:٦.

من الله تعالى . قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾.[1]

ي الآية المائة والخامسة والثمانين في قوله تعالى :﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾.[2]

ومن خلال النظر في الآيات السابقة مُرَتَّبةً، يتبيَّن لنا التالي :

الآية الأولى :وصْفٌ للقرآن.

الثانية :تقرير أنَّ الهدى من الله – سبحانه وتعالى.

الثالثة :أنَّ الهدى يأتي للجن والأنس.

الرابعة :تُشير إلى وسيلة نزول الهدى وإيصاله للخَلق من الملائكة ومن البشر: "جبريل عليه السلام ومُحَمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم).

الخامسة :ذكرت وقت نزول الهدى وهو شهر رمضان.

وخلاصة القول: إن مصطلح الهداية باشتقاقاته الفعلية والاسمية، هو مصطلح تكرّر ذكره في القرآن الكريم حسب الأوجه التي أراد الله أن يهدي بها عباده، ولعظمة كلامه عزّ وجل ، كان جاء الترتيب عكسيا، فإن اهتدى الإنسان بالوجه الرابع من الهدايات، فحتما سيهتدي بما سبقه من أوجه الهدايات الأخرى، ومهما اختلفت أوجه الهدايات، ومهما تعددت مصطلحاتها، ستبقى دلالتها تتمحور حول الرشد إلى الصواب.

---

(1) –الأَنْعَام:١٥٣.

(2) – البقرة: ١٨٥.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

– أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، حققه، مزيد نعيم وسوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط، ١، ١٩٩٨م.

– التعريفات، لعلي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ.

–تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني،مؤسسة الرسالة، ط١،بيروت،١٤١٥هـ –١٩٩٤م.

– تفسير غريب القرآن، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر ،عن دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

– تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاوين في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري ،تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطلاعة والنشروالتوزيع، بيروت،ط٣، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

—تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، تحقيق سامي بن مُحَمَّد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،١٤٢٠ ط٣،هـ – ١٩٩٩ م.

– تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، سمير عاطف الزّين،دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان،ط٢، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م .

– الجامع لأحكام البيان،والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،بمشاركة مُحَمَّد رضوان عرقسوسي،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

– الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، راجعه، أنس مُحَمَّد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، هـ١٤٣٠، ٢٠٠٩م: ١١٩٤ م.

—صحيح مسلم،لمسلم بن الحجاج الفشيري النيسابوري،تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ١، ١٤٣٣هـ–٢٠١٤م.

– القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، لمجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت،

– المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط، ٤، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م .

– معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق فايز فارس،ط٢،دار البشير ودارالأمل،١٤٠٠هـ–١٤٠١هـ / ١٩٧٩م–١٩٨١م .

– معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء،تحقيق مُحَمَّد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب،بيروت، ١٩٨٠م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ،تقديم، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزى، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٦١هـ.